

باب الترفيه والتعليم

هو الترفيه والتعليم بالفانوس السحري والتمثيل والمعارض^(١) ﴿

(المكتوب ٢٩) من هيلانه الى اراسم في ٢ فبراير سنة ١٨٥٠

اقد وهمت ايها العزيز في دعوى ان ذلك الهيكل الذي تمنيت اقامته
للعلم لا يوجد ولن يوجد فانه موجود بالفعل في سايدنهام^(٢) على غاية
القرب من لوندوره واسمه القصر البلوري وفي بيتي ان ازوره أنا « واميل »
متى امكنتني القرص وصار في سن يؤهله لادراك ما فيه من مواد التعليم
نعم اني لست على يقين من مطابقة طريقة بنائه لارائك تمام المطابقة ولكن
اقل ما فيه على ما سمعته عنه ان القصد من انشاءه موافق لقصدك . وقد
يدهشك ان تعلم ان ليس للحكومة يد في بناء هذا القصر العامي (وانما
اصفه بذلك لان المقصود الاصيل من اقامته انما هو تربية طبقات العامة)
فان كل ما فيه من البساتين الواسعة والبناء البلوري والآثار القديمة والتمثيل
وجمل الاشياء المفيدة ملك لجماعة من المتساهمين وقد عهد برفعه الى مشاهير
العلماء والصناع والاثريين فكانوا يباشرون بانفسهم افراغ المواد في القواليب
وتحصيل مثل الاشياء . ذلك لان الانكيز اذا قصدوا تحقيق غرض مفيد
أو انشاء معهد جديد لمنفعة عامة اعتمدوا على انفسهم بسبب ما آتتهم
ضروب الطرية ووسائل العمل الذاتية من قوة الزعامة وشدة البأس خير

(١) معرب من كتاب اميل القرن التاسع عشر (٢) سايدنهام قرية من قرى

انكلترا واقعة على بعد ثمان كيلومترات من لوندوره بني فيها القصر البلوري للمعرض

العام الذي اقيم في سنة ١٨٥١

راجين من الحكومة مساعدة مالية ولا قولية لعلمهم ان العمر ينقضى دون الوصول الى ما يرجون فهم متى ارادوا أقاموا تماثيل لعظماهم ورفعوا هياكل لفكرة يبدونها الواحد منهم .

اراك تشكو من عدم وجود معاهد للتشيل عندنا خاصة للاطفال فاعلم ان لاطفال الانكيز واحداً منها ذلك انك في صبيحة عيد الميلاد تجد معظم تلك المعاهد كأنها قد انفكت عن الاختصاص بالروايات الجدية والهزلية ولا يقبل فيها من الكبار الا من كان مولعاً بسماع الاساطير كاسطورة اهاب الحمار^(١) واسطورة الاصمبع فكل واحد منها يصح

(١) اسطورة اهاب الحمار هي من اساطير شارل برولت الذي سبق التويه بذكره في المكتوب (٢٥) وملخصها ان ملكاً كانت له زوجة يحبها جداً ورزقت منه بنت فائقة في الجمال ثم مرضت وعند احتضارها استحلفته ان لا يتزوج الا بمن تكون اجمل منها فلم يجد في عقائل مملكته من تحقق فيها الشرط الابنته فانضى اليها بيسله الى تزوجها فانكرت عليه الامر فصمم فاشتكت الى جنيتها فارشدتها الى ان تطلب منه حلة كالزمن في لونه فاستضمها لها فاعززت اليها بطلب اخرى كالون القمر فما كان اقرب من تقديمها لها ثم بثائة كالون الشمس فكان ما طابت وكان لابيها حمار يحبه كثيراً لانه كان يجد تحته كل يوم مقداراً وافراً من النقود فلما اعيت الحية تلك الاميرة وظفت ان لاخلاص لها استلاً قلبها حزناً فاوحت اليها الحية بان تطلب اهاب الحمار (جلده) فقدم لها بعد استغراب فزادها ذلك جزعاً فقالت لها الحية كفي بهذا وقت خلاصك فالبسى اهاب الحمار واخرجني فانه لا يشعر بك احد وساتبعك بحملك وحملك اينما قصدت نخرجت في ذلك الاهاب وساحت في الارض فدخلت مملكة اخرى فاستخدمتها زوجة مزارع في رعاية الديكة وكنس معظم الحنازير لرفاهة حالتها وقذارتها فراها ابن ملك تلك الجهة من خصائص كوخها وقد تعرت من اهاب الحمار ولبست حلة من حلالها ففتن بها وذهب الى اهله مدنفاً سقيماً وحار

ان يمتون بعهد الرؤوس الشقر لان الاطفال في شهرين او ثلاثة من السنة يكونون هم المتصرفين في اختيار نوع الآلهى العامة والتمتمين بكل ما في المعاهد من المقاعد الخجلة والموسيقى وضروب الغرور والفتنة ويؤكد لى الناس هنا ان كثيراً من تلك المشاهد يحصل فيه التمثيل مرتين في اليوم احدها بعد الظهر لمن يتعجل في النوم من الاطفال الذين لا يقوون على السهر والثانية في المشي لليافعين والآباء والامهات وللشيوخ الذين حفظوا للشباب في ناحية من اذهانهم شعاعاً من ضيائه ولمعة من بهائه وينبني على ذلك أن أول شرط يلزم تحقيقه في النظارة ان يكونوا صيماً او مستصيين والافكيف يروقه سماع ما يروى هنالك من اقاصيص الجن وما يمثل من الاضاحيك ؛ نعم ان مواضع تلك الآلهى البهجة هى في الجملة غاية في الابتذال وانك لتأسف على ما يضيع في سبيل تربية الادراك بهذه الاماكن من نفقات الزينة والثياب وغيرها من عتار التمثيل لان ما يحصل فيها من تعبير المناظر قلما يفيد الا اثاره وجدان الاعجاب والدهشة ولكن ما شدد ما يبديه الاطفال عندها من دلائل الفرح المنبث عن السذاجة وما ابلغ ما يظهر من تشوفهم اليها واعظم ما يكون من بريق ابصارهم وحملتها بسبب استغرابها والافتتان بها خصوصاً اذا جاء دور ذلك الاطباء في امره وقالوا انه لامرض به الا الفكر وبعد الحاح من والديه طالب ان الخادمة التى تلبس اهاب الحمار تصنع له قرصاً ففعلت ردت فيه خاتمها لانها قد فهمت حقيقة الامر فلما تناول الخاتم في فمه قال لوالديه اني اريد ان تزوج بصاحبة هذا الخاتم فنودى في المدينة بان أية فتاة يوافقها الخاتم الذى في بيت الملك تكون زوجة لولى عهده وكانت نتيجة ذلك ان تزوجت به وعاشا في نعيم وورعد واسطورة الاصمعيق تقدم تلخيصها في هامش المكتوب ١٥ (راجع ص ٨١٤ مجلد ٢) .

المنظر المعروف المسعى منظر الانقلاب والنحول فلشد ما تحقق القلوب
 هنالك خفة وجرحاً ومهما كان في تلك المراتي من الابدال فلا ينبغي ان
 يستخف بما تجلي للاطفال فيها من تلك القصور المسحورة وامطار المسحبات
 والشرر والانوار المشتعلة على جميع ما يرى في افجر القطبي من الالوان
 المتباينة والجزر السميدة (الجزائر الخالدات) والنساء العائشة في السحب وفي
 الاشجار والازهار وبالجملة لاتصح الاستهانة بتلك المحترعات الخيالية العامة
 التي تمثل في اصاحيك المناظر فانيما طار بنا الخيال وان على اجنحة من الورق
 المقوى ولم يرفنا الا قليلاً فانه يفكنا ساعات مما يبهظنا من اغلال العوائد
 والحاجات . تلك المناظر الفرارة لن تنفك ان تكون محبوبة للعامة والاطفال
 لانها تفتح جزءاً من ابواب الكمال المطلق البالغ اقصى غاياته

لما رأيتني لا املك الآن الذهب « باميل » الى القصر البلوري ولا
 الى معهد التمثيل صوت على الاستماعة بألة يطاف بها هنا في المدن والقرى
 وهي الفاؤوس السحري وكأني بك تضحك من ذلك ولكن اي مانع يمنع
 من ان تكون تلك الآلة المستعملة لتحصيل اللذة والاعجاب من وسائل التعليم
 ايضاً فليس ذنباً للفاؤوس السحري انه قلما استعمل الا للتمثيل . الصور المضحكة
 القريبة في دارة مضيئة بل انه لا يكون الا مفيداً اذا قصد به الجد ولو ان
 العلماء تفضلوا على المصورين بارشادهم الى ما يختارون من مواضع العمل والى
 طريقة التصوير على الزجاج لادى الفريقان للاطفال فيما ارى فوائد وفقه
 سمعت ان المتولين امر التربية في انكثرا سبقوا الى اتخاذ هذه الطريقة
 في بعض المدارس لتأدية شيء من معاني علم الفلك وتقوم البلدان والتاريخ
 الى عقول الناشئين

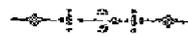
انت تعلم ان علماء الفلك قد رسموا صور الاجرام السماوية الكبرى وخططوا آثار ذوات الذنب والشهب والخسوف والكسوف او انزعوا صورها بألة التصوير (الفوتوغراف) فلو اننا اردنا ان نجعل الفانوس السحري الذي هو الآن مشهد الاوهام والمغالطات مشهداً للحقائق ايضاً كفاذا في ذلك ان ننسخ على زجاجة رسوم السماء وما فيها مصورة على الحالة الفطرية تصويراً مضبوطاً

اذا كان المراد تمثيل الارض في هذه الآلة فلست على يقين من صلاحيتها لتعصيل صور جميع ما فيها من سلاسل الجبال الكبرى ومجاري الأنهار العظمى ومجاهل الصحاري المربعة وشكل السواحل الوعرة المنصورة بالمحيط ولا حيلة لنا في ذلك فعلى ان نكتفي بمبلغ طاقتنا من تصويرها فيها . على ان الطفل يروقه نظر الاشياء تفضيلاً أكثر من النظر اليها جملة فهو اذا نظر الى صور الاقاليم وهيئاتها قائماً يلتمس اثر آيريه ويدهشه كصخرة غريبة الشكل او نبات اجنبي او حيوان عجيب او انسان مغاير لنا بلون جسمه

واما التاريخ فلا شك في صلاحية الفانوس السحري لتعليمه فانه يتأني به احضار خيالات من يتحدث عنهم من الماضين فلا مانع من ان ترسم على صفحته صور الشجعان القارين بزيمهم وبرزتهم وصنوف ما وجد من الصور الغريبة كأبي الهول والثيران ذات الاجنحة وذات الرؤوس الانسانية واللعى السوداء والجنيات والآلهة وغيرها من الصور الخرافية لانها اذا خرجت من الليل فلا محج ان تعود اليه

انا لسوء حظي لست عالمة ولا مصورة ولكنني ارسم رسماً مناسباً

لحالي وكنت ارى منك احياناً استحسان رسومي الكثيرة الالوان نعم اني لا احسن طريقة التصوير على الزجاج فانها حرفة تتعلم وكال سافنخر بان يكون « اميل » هو صاحب الفضل علي في كسبه واصمب علي في ذلك فيما اري انما هو الحصول على مثل متقنة لاني اخال ان الواجب على المرء ان يكون دقيقاً فيما يعلمه الطفل واكره ان لا ابرز الاشياء لولدي في صورها الصحيحة وقد وعدني الدكتور وارنجتون وهو موافق لي في كثير من افكاري ان ينتقي لي من ائدره صوراً منزعة بآلة التصوير (الفوتوغراف) او رسوماً اخذت عن علماء الطبيعة وعلماء الآثار والسياح وانا بفضل موهبته على امل من انشاء مشهدي الصغير عما قليل اه



تعليم العربية في المدارس — تأخره في تقدمه

أحسب الناس ان تقدم اللغة العربية بلغ من النجاح ان يمتحن في فنونها مائتان وخمسون طالباً واربعة نفر فلا يخيب منهم الا الاربعة والباقيون نجحوا في امتحانها وانها قد بلغت نصابها واسترجعت شبابها؛ كلا ان الناس متمجبون من نتيجة الامتحان في هذا العام لامجبون، وانهم يساءلون عن النبا العظيم الذي هم فيه مختلفون، وانا نشير الى الحقيقة بمجمل من القول

من المعلوم لاكثر الناس ان التلامذة لم يسألوا في هذه السنة الا ثلاث مسائل سهلة جداً وكانوا يسألون في كل عام عشرة مسائل دقيقة كالانغاز ربما لا تخطر في بال عالم ولذلك كان الناس يشكون مع التلامذة من الافراط في التشديد بالامتحان وكأن سكرتير المعارف المستر دنلوب اراد ان يزيل

شكواهم فافترط في التساهل حتى جعل الشكوى اعم واكثر ورجال لجنة الامتحان مستسلمون لاصرهم وارادتهم فانية في ارادته والمتبادر ان المنوط بهم امر الامتحان كانوا عازمين على جعل الامتحان في هذا العام كما كان في العام الماضي لولا السكرتير . وان اول من خضع للاصر مع علمه ببداهة كفاية المسائل الثلاث هو الشيخ ذو المكاة الاولى في اللجنة والذي كان يرجى ان يكون اعز انصار اللغة العربية . ويقال ان شاباً من اللجنة تربى تربية انكليزية عارض في ذلك ودافع عن اللغة العربية اما حجة الشيخ في امتثال الامر فهي ان صيغة الامر عند علماء الاصول حقيقة في الوجوب مجاز في غيره . واما حجة الشاب فهي ان هذا اجتهاد من السكرتير في المصلحة وان تقرير مسائل الامتحان موكل الى اجتهاد اللجنة لانها اعرف بالمصلحة والمجتهد لا يقلد مجتهداً . والشيخ في دفع هذا انه لا بد من تنفيذ الامر على ظاهره لان الاجتهاد لا يصح ان يعارض النص كما هو مبين في علم الاصول . وللشاب ان يقول في دفع الدفع انه يمكننا التوفيق بين امر السكرتير وبين المصلحة بان نضع ثلاث مسائل جديدة تتضمن المشر وبذلك نسلم من المخاتمة ومن الغش في العمل . وينطبق قوله هذا على قواعد الاصول ، لقولهم بتأويل نصوص الكتاب والسنة اذا خالفت المعقول ، الا ان يعود الشيخ فيدعي ان اجتهاده موافق لاجتهاد السكرتير في الاكتفاء بثلاث مسائل بديهية عن عشرة عويصة . ولكن للشاب الحجة عليه بأنه كان مقرراً للمشر في كل عام . فليس الانقلاب الآن عن اجتهاد وانما هو عن استسلام

ويظهر ان سائر الاعضاء كانوا منقادين مع ذلك الشيخ الكبير الى

العمل بظاهر الامر من غير بحث في موافقته للمصلحة التي ائيطت بهم كأنه أمر منزل ونص قاطع لا يحتمل التأويل ولو لا ذلك لم ينفذ ولكنه نفذ كما يعلم من جميع التلامذة . وهذا الاستسلام مبنى على أنهم يعتقدون ان السكرتير أمر بما أمر وهو عالم بأنه خلاف المصلحة فهم في الحقيقة خاضعون لما يظنون انه يهواه ويميل اليه . ولو كانوا يعتقدون انه يقصد من الامر بتيسير الامتحان المصلحة ولكنه بالغ في التيسير حتى صار مفسدة لراجموه وبينوا له الحد الوسط . ولو فعلوا ذلك بالاتفاق لما خالفهم وان كان يقصد امانة اللغة العربية كما يقول الناس

« التربية الانكليزية »

سيقول الذين يسيئون الظن بالانكاز عامة وبالمستر دنلوب خاصة ويتهمونهم بالسعي في امانة اللغة العربية لانها لغة الدين الاسلامي : ما بال هذا الشاب هو الذي تصدى للدفاع عن اللغة العربية مع انه لا يتميز على الاستاذ الا بكونه تربي وتعلم في البلاد الانكليزية والانكاز لا يعلمون المصريين في بلادهم الا ليستعينوا بهم على تنفيذ مقاصدهم في مصر ؟ وللانكاز ان يجيوا هؤلاء بقولهم : ان الذي نعلمه ونريه لا ينحلو من احد حالين اما ان يتعلم منا كيف يخدم بلاده ويبلي شأن أمته لاننا نحب ذلك او لا نمارض فيه واما ان يأخذ عنا من الاستقلال في الفكر وفي الارادة ما يمكنه ان يجاهدنا به في ميدان الحياة فاذن لا نجاح لكم الا بالتربية الانكليزية لا سيما اذا ترشح لها الخيار منكم

« كلنا اللورد كرومر وحكمदार الهند »

اما الدليل على ترجيح الشطر الاول فهو ما قاله الفيكونت كرومر

وكيل دولتنا عنكم في تقريره عن مصر وما قاله حكمدار الهند في خطبته في كلية عليكدة . اما الاول فقد قال بعد الحث على التعليم الصناعي وتعليم البنات وموافقة شورى القوانين على توسيع نطاق المدارس الاهلية ما ترجمته :

« من الشواذ الكثيرة في هذا القطر بل من اعربها ان الشباب المصريين يهتمون الآن بتعلم اللغة الانكليزية اكثر مما يهتم الانكليز بتعليمهم ايها . وسبب ذلك واضح وهو ان المصريين عموماً يحسبون ان حصولهم على وظائف الحكومة يكون اسهل عليهم وهم يعرفون الانكليزية منه وهم يجهلونها . والمرجح انهم مصيبون في ذلك الى حد محدود . اما الانكليز الذين يعرفون احوال المصريين وما يحتاجون اليه فينظرون الى هذه المسئلة من وجه تعليمي ولا رغبة لهم في جعل البلاد انكليزية بل يودون الاقتصار من تعليم الانكليزية والفرنساوية على ما تمس اليه الحاجة ويفيد المصريين أنفسهم . ولا يضلهم الرأي السطحي وهو ان درس الفرنسية او الانكليزية يتضمن ايجاد الاميال السياسية لان هذا الرأي خطأ في الغالب على ما ارى »

الى ان قال

« ويظهر من آخر احصاء ان الذين يتعلمون لغات اجنبية في المدارس التي تحت ادارة نظارة المعارف العمومية هم ٥٨٣٥ ذكوراً واناثاً ومن هؤلاء ٤٩٨٤ اى ٨٥ في المائة يتعلمون اللغة الانكليزية ولا بد من تعليم هؤلاء بلغة اجنبية ومن اسباب ذلك انه ليس في العربية كتب للتعليم في العلوم التي يتعلمها التلامذة ولكن التوسع فيه وراء هذا الحد غير محمود

العاقبة . ولذلك احذر بكل جهدي من جعل اللغات الاجنبية مما يعلم في الكتايب ويجب ان يبقى التعليم الآن باللغة العربية وحدها . و خلاصة القول في هذا الموضوع ان اجتهاد الذين يهتمهم امر التعليم في هذا القطر يجب ان يكون مصر و فأنشوع خاص الى اصلاح التعليم الصناعي و توسيع نطاقه و الى تعليم البنات و ترقية التعليم الابتدائي بواسطة الكتايب حتى يرتفع مقياس المعرفة في البلاد كلها اذ لا يخفى ان الاحصاء الاخير دل على ٥٨٩ في المائة من ذكور المصريين و ٩٩٧ في المائة من اناثهم لا يعرفون القراءة و الكتابة « اه

واما الثاني فقد قال في خطابه : وها نحن اولاء قد فتحنا باب القرن العشرين و كيفما تكون النتائج و التقلبات التي تظهر في هذا القرن فلا خلاف في انه سيكون مملوءاً بالحركة العلمية مفعماً بأنوار العلوم و المعارف و مثل الذي يوجد في هذا القرن بغير تربية مثل الفارس الاعزل في القرون الوسطى التي لم يكن للانسان فيها انفع من سلاحه مدافعاً عن حقوقه أو حافظاً لكيان وجوده و لذلك أرى ان احسن سياسة ترقى بالامة المحكومة الى طريق الفلاح هي سياسة تساعد على حفظ كيانها بين تيار المنافسات و ازدحام الاقدام في عالم المباراة . ولهذا ينشر صدر كل حاكم في الهند حينما يرى المسلمين فيها من سنين و شيعيين على حد سواء آخذين بأهداب العمل في سبيل التعليم و التربية و انهم جاوزوا نقطة الابداء في وقت تقدمهم به منافسهم في حلبة هذا السباق . نعم يمكن للمسلمين ان يسابقوا غيرهم اذا هم تعلموا كيف يسابقون . وهو ما عرفوه مرة قبل هذا الوقت في ايام كان فيها للمسلمين السطوة و السلطان و كان قضائهم يحكمون بالعدل بين

الناس وفلاسفتهم وأئمتهم يؤلفون الكتب النفيسة . الا ان طريقة السباق القديمة اصبحت اليوم متأخرة ويحتاج الانسان الى حركة اخف والنشط من الاولى فيلزمكم ان تذهبوا الى المدارس فتلقنوا عن الاساتذة الماهرين في الصناعة الحديثة كيف تكون خفة الاقدام ودقة السيقان اللازمة للمسابقة في مستقبل الايام واني اعتمد بناء على ذلك ان المرحوم السير سيد احمد خان ومن ساعدوه في هذه النهضة لم يرهنوا على سبق وطنيتهم وحميتهم فقط بل يرهنوا ايضا على انهم نظروا ونظروا سياسية دقيقة وعرفوا ان الواسطة الوحيدة والعلاج الناجع الذي يعيد للمسلمين شيئاً من سابق مجدهم هو العلم والتربية ولو كنت اميراً من اصراء المسلمين او غنياً من اغنياءهم لما اضمت خمسي دقائق تمر على لا افكر بها في اية وسيلة افيد بها ابناء ملتي وارقي بواسطتها اخواني المسلمين في هذه الديار . وكنت احصر مساعي في التعليم والتربية اجل في التعليم والتربية لا سواهما

وكون هذه هي خطتكم هو مما لا مشاحة فيه كما سمعت اليوم من الخطبة التي تليت امامي . فأنتم تقولون فيها انه لا امل لكم في اعادة شيء من ماضي مجدكم وعزكم الا بضم العلوم المصرية الى علومكم . حقاً لقد اصبتم كبد الحقيقة تمسكوا بدينكم الذي اجتمعت فيه اصول الرفعة والشرف ومنابع الحقيقة واجعلوا ذلك اساساً لتربيتكم وتعليمكم لان التربية بغير اساس ديني كبنيان القصور على الهواء وان كان اولاد المدارس الابتدائية والعالية صفار السن لا يدركون معنى هذه الحقيقة . هكذا تمسكوا بهذا المبدأ وهذه القواعد حتى تجنوا ثمرة شجرة التربية التي كانت نامية احسن نمو في الحدائق الشرقية والآن صارت تنمو في الغربية اه المراد منه ومما تقدم

يعلم ان جيل بلاء المسلمين من انفسهم

انار علي بن ابي طالب

« هدايا وتقاريف »

(الحسبة في الاسلام او — وظيفة الحكومة الاسلامية)

كان شيخ الاسلام ابو العباس احمد بن تيمية (رحمه الله تعالى) مجدد علم الدين ومحبي السنة في اول القرن الثامن للهجرة الشريفة . وكان قد بعد عهد المسلمين بأخذ احكام دينهم من الكتاب والسنة كما كان سلفهم في القرون الثلاثة فاراد الرجوع بهم الى ذلك فالف في اهم المسائل كتباً ورسائل يستمد فيها من ذلك الينبوع الاعظم ويذكر احياناً خلاف الاثمة المشهورين . ومن اعظم تصانيفه فائدة رسالة الحسبة أي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي رسالة تبلغ زهاء ١٠٠ صفحة وقد طبعت في مطبعة المؤيد على اجود ورق فينبغي ان يطلع على هذه الرسالة كل مسلم لان ركن الحسبة هو الركن الذي يحفظ سائر الاركان الاسلامية وإهمال الامر والنهي هو الذي اضاع الدين ولو اقيم لقام عليه بناؤه الى يوم الدين

(معارج الوصول . الى معرفة ان اصول الدين وفروعه قد بينها الرسول)

وهذه الرسالة للامام ابن تيمية ايضاً وهي من احسن ما كتبه ومن احسن ما خدم به الاسلام وقد تعرض فيها للرد على الذين حكموا اهواءهم في الدين من الفلاسفة وبعض المتصوفة وغيرهم من الفرق الذين